كانت حياة إقبال حافلة بالعطاء، فلقد اشترك في مؤتمر الطاولة المستديرة سنة 1931م، 1932م في لندن، وكان المؤتمر ينظر في دستور جديد للهند[1].

وكان إقبال أول من دعا إلى أن تقسم الهند، فيكون للمسلمين بها موطن يخصهم، إذ رأى مُحال أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين متعاونتين[2].

لقد ترك لنا مفكرنا وشاعرنا محمد إقبال العديد من الكتب والدواوين التي تكشف لنا عن عمق أفكاره وغزارة اطلاعه على الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية قديمها وحديثها[3].

توفى إقبال في الحادي والعشرين من شهر إبريل سنة 1938م، ومن حياة مفكرنا، يمكننا القول مع الأستاذ عباس العقاد: إن الشرق مازال، ولن يزال بحاجة إلى عظمائه النابغين، و إن إقبالًا هو تراز العظمة الذي يتطلبه الشرق في الوقت الحاضر وفي كل حين[4].

«الذات» في اللغة والفلسفة:

لفظة «الذات» من المصطلحات البارزة عند إقبال، بل هو - كما سيتضح -

(1) د. عبد الوهاب عزام: نفسه ص 39.
(2) د. عبد الوهاب عزام، المرجع السابق ص 39.
(3) د. عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، طبعة أولى سنة 1995م، ص 187.
(4) عباس العقاد: مقال «فريضة إنسانية» ضمن سلسلة مقالات لكبار الكُتاب، الناشر سفارة باكستان بالقاهرة1952م، ص38، وعثمان أمين: مقال لرسالة محمد إقبال (المرجع نفسه ص 74).

أحد المحاور الرئيسة في فكره، ولهذا يجدر بنا أن نتوقف قليلًا على أبعاد هذا المصطلح في مظانه في اللغة والفلسفة.

جاء في المعنى اللغوي للذات: ذات الشيء: حقيقته وخاصته: ويقال عيب ذاتي جبلي وخلقي، النفس والشخص، ويقال في الأدب: نقد ذاتي: فقد يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته وهو خلاف الموضوعي ويقال: جاء فلان بذاته: عينه ونفسه، وجاء من ذات نفسه: طبعًا في القرآن الكريم ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾ [الرحمن: 48] (مثنى) وجمعها ذوات[1].

والمتأمل يرى أن الذات في اللغة، تعني في أحد معانيها: الحقيقي، ولعل هذا يقترب إلى حد غير قليل من المعنى الفلسفي، فالذات هي حقيقة الوجود ومقوماته، وتقابل العرض وعند الكلام عن الله عَزَّوَجَلَّ يقال الذات الإلهية (Essence divine)[2].

كما نستطيع أن نقف على معنى الذات من الزاوية النفسية: يشير مفهوم الذات إلى بناء نفترض وجوده باعتباره أساس تحقيق التكامل والاتصال بين خبراتنا جميعًا أي الأساس الذي يجمع بينها في كل منظم متصل: وهناك أيضًا علاقة جدلية بين معنى الذات والشعور، فالشعور بالاتصال عبر الزمن يعتبر أحد الأبعاد الرئيسية للذات، كما أن الشعور بالمغايرة أي بأي كيان قائم بذاته: غير ما يحيط به يعتبر بعدًا رئيسيًا آخر للذات، وكلا البعدين عن الزمن وبعد المغايرة لا يولدان مع ميلاد الطفل ولكنهما ينموان عن طريق

(1) د. إبراهيم مدكور: المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية طبعة أولى 1980م، ص 232.

(2) د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية 1983م، ص 87.

نمو الوظائف النفسية المختلفة وخصوصًا وظائف التذكر واللغة والوجدان وكذلك عن طريق نمو القدرات الحركية[1].

ولقد أفاض صاحب كشاف الفنون في توضيح المعنى وإن كان أقربها نسبًا إلى موضوعنا أن الذات، بمعنى الماهية ما به الشيء هو هو، وأعلم أن ذات الله تعالى عبارة عن نفسه التي بها موجود بأنه قائم بنفسه[2].

ونخلص من هذا العرض، لإشكالية المصطلح في فلسفة المفكر الكبير محمد إقبال إلى ما عبر عنه أستاذنا الدكتور العراقي أن التأكيد من جانب إقبال على «الذات» لا يعني دعوة للأنانية كما يظن البعض، إذ إن محمد إقبال يعد أبعد ما يكون عن الدعوة لتلك الفكرة، فكرة الأنانية، بل إن الذاتية عنده تعد تعبيرًا عن الرزح المنشئ الخلاق، الذي أودعه الله تعالى في الإنسان[3].

موقف إقبال من «التراث»:

أشرنا في تمهيدنا إلى بروز النزعة النقدية في فكر فيلسوفنا، وهي نزعة أصيلة نتضوج أريجها من خلال الوقوف على دواوين شعره، أو كتاباته الفلسفية الخالصة، لا سيما أنه المفكر الذي جمع في جعبته بين الثقافتين، الثقافة الإسلامية، والثقافة الغربية، كما عاشها وتفاعل معها، نقول إن إقبال لم يكن نتاجًا من العدم، وإنما يظل إقبال فكرًا تواقًا إلى المعرفة ونفسًا

(1) د. إبراهيم مدكور: معجم العلوم الاجتماعية - مجمع اللغة العربية.
(2) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر 1963م ص 328.
(3) د. عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، طبعة أولى 1995م، ص187.